مداحل

قرية مداحل المهجّرة – قضاء صفد

مَداحِل قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء صفد، كانت تقع في الطرف الشمالي الشرقي من سهل الحولة، على مسافة نحو 30 كيلومترًا شمال شرقي مدينة صفد، وبارتفاع يقارب 100 متر عن سطح البحر.

قامت القرية فوق رقعة مستوية من الأرض، على بعد نحو كيلومتر واحد إلى الشرق من وادي بانياس، وأقل من كيلومتر إلى الجنوب من تل الترمس، أحد المواقع الأثرية القديمة في المنطقة.

كانت مداحل قرية صغيرة؛ سجل تعداد فلسطين لسنة 1931 فيها 100 نسمة، جميعهم مسلمون، يعيشون في 17 منزلًا. ولا تتوفر في المصادر الأساسية المستخدمة هنا إحصاءات مستقلة موثقة لسكانها أو أراضيها سنة 1945، ولذلك لا تُضاف أرقام تقديرية غير موثقة.

غادر سكان مداحل القرية في أواخر نيسان/أبريل 1948 في سياق عملية يفتاح والتقدم العسكري في الجليل الشرقي. ويضع وليد الخالدي/PalQuest النزوح في 30 نيسان، بينما يسجل مصدر فلسطيني آخر 29 نيسان. وتفيد الرواية المستخدمة عند الخالدي بأن الخوف من الهجوم والوقوع وسط القتال كان عاملًا رئيسيًا، وربما عجّل قصف بالهاون بمغادرة السكان.

معلومات أساسية عن مداحل

البيان	المعلومة
الاسم	مَداحِل
الاسم بالإنجليزية	Madahil
القضاء	صفد
الموقع	الطرف الشمالي الشرقي لسهل الحولة
المسافة من صفد	نحو 30 كم شمال شرقي صفد
الارتفاع	نحو 100 متر عن سطح البحر
شبكة فلسطين	210/290
السكان سنة 1931	100 نسمة، جميعهم مسلمون
عدد المنازل سنة 1931	17 منزلًا
السكان سنة 1945	لا يتوفر رقم مستقل موثق
السكان سنة 1948	لا يتوفر تقدير مستقل موثوق
مساحة الأراضي	لا يتوفر جدول رسمي مستقل موثق يمكن اعتماده بثقة
تاريخ النزوح	30 نيسان/أبريل 1948 وفق وليد الخالدي/PalQuest؛ سجل آخر يورد 29 نيسان
العملية العسكرية	عملية يفتاح؛ عملية مطأطي اللاحقة لا يمكن أن تكون سبب النزوح المباشر لأنها بدأت في 4 أيار
الوحدة العسكرية	قوات البلماح ضمن عملية يفتاح؛ فلسطين في الذاكرة ينسبها إلى الكتيبة الأولى، لكن التحديد القرية–بقرية غير مثبت في نص الخالدي
سبب النزوح	الخوف من هجوم وشيك أو الوقوع وسط القتال؛ وربما عجّل قصف بالهاون بالخروج
مدى التدمير	زالت جميع أبنية القرية بحسب الوصف الميداني اللاحق؛ تاريخ الهدم الدقيق غير موثق

البيان	المعلومة
المستعمرات على أراضي القرية	لا توجد مستعمرة موثقة على أراضي القرية وفق وليد الخالدي/PalQuest

اسم مداحل

لم أعثر في المصادر الفلسطينية الأساسية المستخدمة على اشتقاق لغوي موثق وحاسم لاسم «مداحل».

ولذلك لا يعتمد المقال تفسيرات لغوية أو عشائرية غير مسندة بمصدر واضح، ويكتفي بالاسم الذي ظهر في تعداد فلسطين وفي توثيق القرية الفلسطيني الحديث.

الموقع والجغرافيا

كانت مداحل قائمة فوق أرض مستوية في أقصى الشمال الشرقي من سهل الحولة، على مسافة نحو 30 كيلومترًا شمال شرقي صفد.

وكان وادي بانياس يمر على بعد نحو كيلومتر واحد إلى الغرب منها، بينما يقع تل الترمس على مسافة تقل عن كيلومتر واحد إلى الشمال.

وبحسب التوثيق الفلسطيني المحلي، كانت المنصورة إلى الشمال، والأراضي السورية إلى الشرق، والحمراء إلى الجنوب، والعابسية وقيطية إلى الجنوب الغربي، ولزازة إلى الغرب، والخصاص إلى الشمال الغربي.

السكان

لا تتوفر سلسلة إحصائية مستقلة وكاملة لمداحل مثلما تتوفر لقرى أخرى من قضاء صفد.

السنة	عدد السكان	الملاحظة
1922	لا يتوفر رقم مستقل موثق في المصادر المستخدمة	لا يُستنتج رقم من تجمعات مجاورة
1931	100	تعداد رسمي؛ جميع السكان مسلمون
1944/1945	لا يتوفر رقم مستقل موثق	لم أعثر على إدراج مستقل يسمح بتقديم رقم رسمي للقرية
1948	لا يتوفر رقم مستقل موثوق	لا يجوز اشتقاقه حسابيًا من عدد سكان 1931

عدد البيوت

سجل تعداد سنة 1931 في مداحل **17 منزلًا** مأهولًا.

ولا يتوفر رقم رسمي مستقل للبيوت سنة 1948، ولذلك لا يُستنتج عدد المنازل من السكان أو من القرى المجاورة.

الأراضي وملكية الأرض

لم أعثر في الجداول الرسمية المتاحة على وحدة أرضية مستقلة لمداحل تسمح بإعداد جدول موثق لملكية الأراضي أو استعمالاتها سنة 1944/1945.

كما أن سجل التجمعات الفلسطينية المهجرة الصادر عن هيئة أرض فلسطين لا يقدم مساحة أرض مستقلة لمداحل.

ولهذا لا يضع المقال أرقامًا لمساحة الأرض أو لفئات «فلسطيني / تسرّبت للصهاينة / عام» من دون وثيقة رسمية صريحة.

الاقتصاد

كانت مداحل قرية صغيرة داخل البيئة الزراعية الخصبة لسهل الحولة، وقربها من وادي بانياس وفر موارد مائية وأرضًا صالحة للاستخدام الزراعي في محيطها.

لكن غياب جدول مستقل لاستعمال الأرض يمنع تحديد مساحات الحبوب أو البساتين أو المراعي بصورة رقمية موثقة.

ويثبت الوصف الميداني اللاحق أن الأراضي المحيطة بالموقع ظلت مستخدمة في الزراعة بعد تهجير القرية.

التعليم والخدمات

لم أعثر في المصادر الأساسية المستخدمة على توثيق مستقل لمدرسة في مداحل، أو عدد للطلاب والمعلمين.

وبسبب صغر التجمع، لا ينبغي افتراض وجود مدرسة أو خدمات إدارية أو صحية من دون مصدر مباشر.

المسجد والمقبرة

لم أعثر في المصادر الأساسية المستخدمة على وصف مستقل لمسجد أو مقام أو مقبرة في مداحل.

ولا يكفي كون سكان القرية جميعهم مسلمين في تعداد 1931 لإثبات وجود مبنى مسجد محدد؛ لذلك لا يضيف المقال مباني دينية غير موثقة.

تل الترمس

يقع تل الترمس على مسافة تقل عن كيلومتر واحد إلى الشمال من موقع مداحل.

وقد كشفت الدراسات الأثرية في التل عن دلائل على وجود استيطان يعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد.

ويجب التمييز بين هذا الموقع الأثري القديم وبين القرية الفلسطينية الحديثة؛ فالقرب الجغرافي لا يثبت أن مداحل الحديثة كانت استمرارًا مباشرًا لذلك التجمع القديم.

عملية يفتاح

بدأت عملية يفتاح في 15 نيسان/أبريل 1948 واستمرت حتى 25 أيار/مايو، في سياق خطة دالت والسيطرة العسكرية على الجليل الشرقي.

كانت قوات البلماح هي القوة الرئيسية في العملية، وكانت الكتيبة الأولى رأس الحربة في عدد من مراحلها.

وقعت مغادرة سكان مداحل في أثناء هذه الحملة، وقبل الهجوم النهائي على مدينة صفد في 10–11 أيار/مايو.

نزوح مداحل – أواخر نيسان/أبريل 1948

يضع وليد الخالدي/PalQuest خروج سكان مداحل في 30 نيسان/أبريل 1948، بينما يعطي سجل هيئة أرض فلسطين تاريخ 29 نيسان.

ولا يقدم الخالدي رواية عن معركة برية دارت داخل مداحل أو عن قوة اقتحمت المنازل في ذلك اليوم.

بل ينقل أن تقارير استخباراتية إسرائيلية لاحقة ذكرت أن سكان قرى عديدة في الجليل الشرقي غادروا أثناء الحملة خوفًا من التعرض للهجوم.

وبالنسبة إلى مداحل تحديدًا، يذكر أن الخوف من الهجوم أو الوقوع وسط القتال كان عاملًا رئيسيًا في المغادرة، وأن قصفًا بمدافع الهاون ربما عجّل بالنزوح.

ولا توضح الرواية المتاحة إلى أين اتجه سكان القرية بعد مغادرتها.

هل كانت عملية مطأطي سبب تهجير مداحل؟

تضع بعض الجداول في فلسطين في الذاكرة اسمي عمليتي يفتاح و«مطأطي/المكنسة» معًا في خانة العمليات العسكرية المتعلقة بمداحل.

لكن عملية مطأطي نُفذت في **4 أيار/مايو 1948**، واستهدفت تجمعات تقع شرقي صفد وغرب نهر الأردن، ومنها الزنغرية وعرب الشمالنة والطابغة.

وبما أن سكان مداحل كانوا قد غادروا بحسب المصادر في 29–30 نيسان، فلا يمكن جعل عملية 4 أيار السبب المباشر لنزوحهم.

لذلك يعتمد المقال **عملية يفتاح** باعتبارها السياق العسكري الذي جرى فيه النزوح، بينما تُذكر عملية مطأطي بوصفها مرحلة عسكرية لاحقة أثرت في منطقة الحولة الأوسع.

الوحدة العسكرية

كانت قوات البلماح رأس الحربة في عملية يفتاح عمومًا.

ويذكر فلسطين في الذاكرة الكتيبة الأولى من البلماح بوصفها الوحدة المنفذة في مداحل.

لكن وصف وليد الخالدي الخاص بالقرية لا يحدد كتيبة معينة دخلت مداحل، ولا يصف هجومًا بريًا مباشرًا عليها في 30 نيسان. ولهذا يبقى تحديد الكتيبة الأولى نسبة واردة في المصدر الثانوي وسياقًا عسكريًا مرجحًا، لا تحديدًا مستقلاً محسومًا قريةً–بقرية.

سبب النزوح

التصنيف الأكثر دقة استنادًا إلى رواية الخالدي هو أن السكان غادروا بسبب الخوف من هجوم وشيك أو من الوقوع وسط القتال المتصاعد في الجليل الشرقي.

ويضيف المصدر احتمال أن يكون قصف بالهاون من قوات الهاغاناه قد عجّل بمغادرة القرية، لكنه لا يحسم وقوع هذا القصف في مداحل بصورة مستقلة.

لذلك لا يُقدَّم «هجوم عسكري مباشر على القرية» بوصفه حقيقة مثبتة، بل يوثق النزوح في سياق التقدم العسكري والتهديد والقصف المحتمل.

التدمير

اختفت مباني مداحل لاحقًا بالكامل من الموقع بحسب وصف وليد الخالدي الميداني.

لكن المصادر المستخدمة لا تعطي تاريخًا محددًا لعملية هدم القرية، ولا تثبت أن المباني دُمّرت في يوم مغادرة السكان نفسه.

لذلك ينبغي الفصل بين تاريخ النزوح في أواخر نيسان 1948 وبين التدمير اللاحق للمباني.

التطهير العرقي في تصنيف المصادر

يستخدم موقع فلسطين في الذاكرة وصف «التطهير العرقي الكامل» لمداحل. ويُذكر المصطلح هنا بوصفه تصنيفًا للمصدر، لا توصيفًا مستقلاً يضيفه المقال.

أما الوقائع الأكثر تحديدًا فهي مغادرة سكان القرية في سياق عملية يفتاح والخوف من الهجوم والقتال، عدم عودتهم إلى الإقامة الدائمة في القرية، واختفاء جميع مبانيها في الفترة اللاحقة.

تسلسل الاحتلال والتهجير

التاريخ	الحدث
15 نيسان/أبريل 1948	بدء عملية يفتاح في الجليل الشرقي.
النصف الثاني من نيسان/أبريل 1948	تزايد الغارات والضغط العسكري في قرى الجليل الشرقي وسهل الحولة، وبدء موجات نزوح خوفًا من الهجمات.
29 نيسان/أبريل 1948	التاريخ الذي يسجله سجل هيئة أرض فلسطين لخلو مداحل من السكان.
30 نيسان/أبريل 1948	التاريخ الذي يعتمده وليد الخالدي/PalQuest لمغادرة سكان مداحل؛ الخوف من الهجوم أو الوقوع وسط القتال هو السبب الموثق، مع احتمال قصف بالهاون.
4 أيار/مايو 1948	تنفيذ عملية مطأطي «المكنسة» في منطقة أخرى من الجليل الشرقي؛ وهي لاحقة زمنيًا لخروج سكان مداحل.
10–11 أيار/مايو 1948	الهجوم النهائي على صفد وسقوط المدينة ضمن عملية يفتاح.
بعد التهجير	اختفت مباني القرية بالكامل في مرحلة غير محددة التاريخ.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي مداحل

وفق وليد الخالدي وPalQuest، **لا توجد مستعمرة إسرائيلية أُنشئت على أراضي مداحل نفسها**.

تقع مستعمرة **كفار سولد** على بعد نحو 1.5 كيلومتر جنوب شرقي موقع القرية، وقد أُنشئت سنة 1942، أي قبل النكبة.

وتقول بعض المصادر الفلسطينية المحلية إن كفار سولد أُنشئت على أراضي مداحل، لكن تحديد وليد الخالدي صريح بأنها ليست على أراضي القرية. لذلك يعتمد المقال تحديد الخالدي.

ومع ذلك، كان سكان كفار سولد يزرعون الأراضي المحيطة بموقع مداحل في الفترة التي وصفها العمل الميداني.

قرية مداحل اليوم

بحسب الوصف الميداني الذي اعتمد عليه وليد الخالدي قبل نشر كتاب «كي لا ننسى / All That Remains» سنة 1992، لم يبق أي أثر ظاهر لأبنية مداحل.

غطت الحشائش والقصب ونباتات الصبار موقع القرية، بينما كانت الأراضي المحيطة تُزرع بواسطة سكان كفار سولد.

وتوجد مواد تصويرية مجتمعية فلسطينية لاحقة في فلسطين في الذاكرة توثق منطقة وادي بانياس والأراضي المحيطة بالموقع، لكنها تمثل توثيقًا مجتمعيًا وليست مسحًا أثريًا أو عقاريًا شاملًا.

ولذلك يجب فهم وصف وليد الخالدي بوصفه توثيقًا ميدانيًا تاريخيًا سابقًا لسنة 1992، وليس تحققًا مباشرًا وشاملًا من حالة موقع مداحل في سنة 2026.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: مداحل
- PalQuest – عملية يفتاح
- PalQuest – عملية مطأطي «المكنسة» وتاريخها
- فلسطين في الذاكرة – مداحل، قضاء صفد
- فلسطين في الذاكرة – مداحل من كتاب كي لا ننسى لوليد الخالدي
- حكومة فلسطين – تعداد فلسطين لسنة 1931
- هيئة أرض فلسطين – سجل التجمعات الفلسطينية المهجرة

- موسوعة القرى الفلسطينية – مداحل
- فلسطيننا – مداحل، قضاء صفد